حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة، فجلست ثم أنّت أنّةً أجهش القوم لها بالبكاء، فارتجّ المجلس، ثم أمهلت هنيئة حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم، افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله صلى الله عليه وآله فعاد القوم في بكائهم، فلمّا أمسكوا عادت في كلامها، ...) [٨]

٥- آثرت التضحية بحياتها وجنينها حفاظاً على حجابها.

ذكرت المصادر التاريخية لما هجم القوم على دار الزهراء (عليها السلام) توارت خلف الباب؛ لكيلا يُهتك سترها، وكانت حاملاً في شهرها السادس. ولمّا علموا بها خلف الباب، دفعوه بشدّة عليها حتى أسقط جنينها وانكسر ظلعها، وتسبّب هذا الحادث الجلل في وفاتها فيما بعد وهي في ريعان شبابها. ذكر ذلك سليم بن قيس الكوفي في كتابه[٩]،عندما سأل سلمان(رض) عن تلك الحادثة . وقد نظم العلامة السيد محمد القزويني (رحمه الله) مضمون ما جرى بينهما بقصيدة شعريّة منها الأبيات التالية:

قال سليمٌ قلتُ يا سلمانُ ... هل دخلوا ولم يكُ استئذانُ
فقَالَ إِيْ وعِزّةِ الجبارِ ... وما على الزهراءِ من خمارِ
لكنّها لاذتْ وراءَ البابِ ... رعايةً للسترِ والحجابِ
فمُذ رَأَوها عصروها عصرَهْ ... كادت بنفسي أن تموتَ حسرَهْ
نادتْ أَبَا فضةُ أسندِيني ... فقد وربي أسقَطُوا جَنِيني

٦- اوصت بالحفاظ على سترها حتى بعد وفاتها

وبلغ من حرص الزهراء (عليها السلام) على سترها حتى بعد وفاتها، فقد نقلت كتب الروايات، أنّه كانت من جملة الوصايا التي أوصت بها زوجها، أمير المؤمنين عليّاً (عليه السلام) أن يصنع لها نعشاً. يضعها فيه؛ لكيلا يُرى جسدها الطاهر. وكان نعش الزهراء عليها السلام أول نعش في الإسلام. فقد روي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: أول نعش أحدث في الإسلام نعش فاطمة (عليها السلام) إنها اشتكت شكاتها التي قبضت فيها وقالت لأسماء: إني نحلت فذهب لحمي، ألا تجعلين لي شيئا يسترني؟ فقالت أسماء: إني إذ كنت بأرض الحبشة رأيتهم يصنعون شيئاً أفلا أصنع لك؟ فإن أعجبك صنعت لك، قالت:

٨. الاحتجاج ، الشيخ الطبرسي ، ج ١ ، ص١٣١-١٣٢
٩. كتاب سليم بن قيس الهلالي، تحقيق محمد باقر الانصاري، ج٢، ص٣٨

نعم، فدعت بسرير فأكبته لوجهه، ثم دعت بجرائد فشددته على قوائمه، ثم جللته ثوبا فقالت: هكذا رأيتهم يصنعون، فقالت: اصنعي لي مثله، استريني سترك الله من النار)[١٠].

هذا غيضٌ من فيضٍ اتضح من خلاله السيرة العطرة للزهراء (عليها السلام) ومدى حرصها على حجابها وعفافها اللذين كانا رمزًا لالتزامها بالدين، وقدمت أنموذجًا خالدًا للمرأة المسلمة التي تجمع بين العفّة والحجاب، والقيام بدورها الفاعل في المجتمع. بدفاعها عن مقام الإمامة والنبوة والإسلام الأصيل. التي أراد غاصبو حقِّها وحقِّ بعلها وذريتها إلغاء وتهميش دورهم (عليهم السلام).

١٠.وسائل الشيعة (آل البيت) ، الحر العاملي ، ج ٣ ، ص ٢٢٠

العتبة العلوية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الثقافة الإسلامية

العفّةُ والحجابُ
في فكرِ فاطمة الزهراءِ عليها السلام وسلوكِها

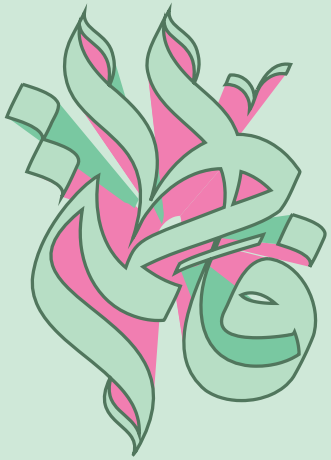

يُعـدّ الحجاب والعفاف مـن المبادئ الأساسـية في الإسلام، حيث يشـكّلان جزءًا مهمًا من النظام الأخلاقي والتربوي الذي يهدف إلى تعزيز القيم الإنسـانية السـامية، وقد أشارت بعض الآيات القرآنية إلى هذا المـعنى منها: قوله تعالى: {وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِـنْ زِينَتِهِنَّ}[١]. وقوله تعالى: {يأيها الـنبي قُل لأزوجِكَ وَبَنَاتِكَ ونسـاءِ المؤمنيـن يدنين عليهن مِن جلابيبهـن ذلـك أدنى أَن يعرفـن فَلَا يؤذيـن وَكَانَ أللـه غفورا رحيمـا}[٢]. فالحجـاب في الإسلام ليس مجرد غطـاء للرأس أو الجسـد، بل هـو رمز للالتـزام الـديني والأخلاقي، ومظهر من مظاهر الطاعة لله تعالى.

إنّ العفاف مفهوم أوسـع من الحجاب الظاهري، فهو يتعلق بحفظ المرأة لنفسـها من الانحراف والابتعاد عن المحرمات، فالحجاب شـرط في العفاف وبدون الحجاب لا تحصل العفّة المطلوبة، وقد أكّد أهل البيت (عليهم السلام) على أنّ العفاف هو حصن المرأة الذي يحميهـا من الوقوع في الفتن، ويصون كرامتهـا، وقد روي عـن أمير المؤمنيـن (عليه الـسلام) قوله: (العفـاف يصون النفـس وينزهها عـن الدنيـا)[٣]. وعن الإمام الصادق (عليه السلام) (: عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم)[٤]. فالعفـة والحجاب مـن حقـوق الله ولهما دور مهـم في بناء شـخصية المـرأة المسـلمة، إذ يُسـهمان في تعزيز الشـعور بالطمأنينة والسـكينة والالتـزام بتعاليم الديـن الإسلامي، بما يضمن تحقيق طاعة الله عز وجل.

وقد أولى أهل البيت (عليهـم السلام) اهتمامًا بالغًا بالحجاب والعفـاف، موضحيـن أهميتهمـا وآثارهما على حيـاة المرأة المسلمة، سواء على المسـتوى الفردي أو الاجتماعي، وتعزيز الهوية الإسلامية للمرأة.

السـيدة فاطمـة الزهـراء (عليهـا الـسلام) التي تُعد مـن أبرز الشـخصيات النسـائية في الإسلام، بـل هي سـيدة النسـاء، أنموذجاً وقدوة للمرأة المسـلمة، ومثالًا رفيعًا للعفّة والحياء والالتـزام بالحجاب والعفـاف، وبالرغم من قصـر المدّة التي عاشـتها بعد وفاة أبيها رسـول الله (صلى الله عليه واله)، إلّا أن حياتهـا كانت زاخـرة بالمواقف، فقـد كانت تُعـرف بحرصها الشديد على الالتزام بالعفة والحجاب.

١.سورة النور: ٣١
٢.سورة الاحزاب: ٥٩
٣.ميزان الحكمة ، محمد الريشهري ،ج ٣ ، ص٣٤٨
٤. المصدر نفسه ص ٣٤٩

ونتيجة لعظم التحديات التي يمرّ بها المجتمع الإسلامي على مستوى الفكر، والسلوك مسّـت الحاجة إلى كتابة هذا المقال الـذي من خلاله نستكشـف أهميـة الحجـاب والعفاف عند الزهـراء (عليهـا الـسلام) على مسـتوى الفكـر والسـلوك من خلال الآتي:

١- تجنـب الاختلاط المحـرَّم المثيـر للافتتان بيـن الرجل والمـرأة طبّقت الزهـراء (عليها السلام) أسـمى وأرقى درجات العفـاف والحجـاب بقولها: (خيرٌ للنسـاء أن لا يرين الرجال ولا يراهن الرجال). فقد روي عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) قال: كنّا عند رسـول الله (صلى الله عليه واله) فقال: أخبروني أيّ شيء خير للنسـاء؟ فعيينا بذلك كلّنـا حتى تفرقنا، فرجعت إلى فاطمة (عليها السلام) فأخبرتها بالذي قال لنا رسـول الله (صلى الله عليـه واله) وليس أحـد منّا علمه ولا عرفـه، فقالت: ولكني أعرفه: خير للنساء أن لا يرين الرجال ولا يراهن الرجال، فرجعت إلى رسول الله (صلى الله عليه واله) فقلت: يا رسول الله سألتنا أيّ شيء خير للنساء؟ خيرٌ لهن أن لا يرين الرجال ولا يراهن الرجال، فقـال: من أخبرك، فلـم تعلمه وأنت عنـدي؟ فقلت: فاطمة، فأعجب ذلك رسـول الله (صلى الله عليـه واله) وقال: إنّ فاطمة بضعة مني)[٥].

٢- من عوامل القرب الى الله التزام المرأة قعر دارها.

سَـأل رسـول الله (صلى الله عليه واله) أصحابه عن المرأة: (متى تكـون أدنى من رَبّها؟) فلم يدروا. فلما سـمعت فاطمة (عليها السلام) ذلك، قالت: (أدنى ما تكون من رَبّها أن تلزم قعر بيتها) [٦]. إنّ التـزام المـرأة بيتها مـن العوامل التي تقرّبهـا إلى الله، فهو مكانهـا الذي تؤدي فيه دورها الأسـاسي في العناية بأسـرتها، وتربيـة أبنائهـا، والتفـرّغ لأداء عباداتها، ويظهـر حرصها على الالتزام بتعاليم دينها.

٣- أهمية العفّة والحجاب في جميع المواقف والظروف.

يُـروى عن جعفر بـن محمد، عن أبيـه (عليهما الـسلام): (أنّ فاطمـة بنت رسـول الله (صلى الله عليـه واله)، اسـتأذن عليها أعمى فحجبته، فقال لها النبي (صلى الله عليه واله): لم حجبته وهو لا يراك؟ فقالت: يا رسول الله، إن لم يكن يراني فأنا أراه، وهو يشـم الريـح، فقـال الـنبي (صلى الله عليـه والـه): أشهد أنك بضعة مني)[٧].

فالعفّة والحجاب عند السـيدة فاطمة الزهراء "عليها السلام" لـم يكن مجرد حفظٍ للجسـد من الانكشـاف، بـل هو طهارة داخليّة، وصفاء روحي، يفيض على كلّ جوانب حياتها، وتجلّى في سـلوكها وأخلاقها وكلامهـا وتعاملها مـع الآخرين، حتى باتت مثالاً سـاميًا للطهارة والسمو الأخلاقي. كما أنّهما يُعدان وسـيلة لتحديد الحدود بين الرجل والمرأة في المجتمع، مما يمنـع الاخـتلاط المفرط الـذي قد يـؤدي إلى تدهـور القيم الأخلاقية.

مـا تقدم مـن كلام الزهـراء (سلام الله عليها) يرشـد الى حكم أخلاقي يتعلق بسـلوك المرأة المؤمنة، مالم يتزاحم مع حكم آخـر؛ لأنّه هناك أحـكام شـرعية رخّصت للمـرأة الخروج من المنزل، كالخروج الى أداء الحج الواجب، او صلة الرحم وغيرها من الأمور التي تكون المرأة في معرض رؤية الرجال الأجانب.

٤- حفـاظ المـرأة على كامـل حشـمتها عنـد الضـرورة والاضطرار إلى مخاطبة الرجال

في موارد الاضطـرار والضرورة يجوز للمرأة ان تخاطب الرجال بشـروط طبّقتها الزهراء عليها الـسلام عملياً عندما عملت بما يُـملي عليهـا تكليفها واضطـرت لمخاطبة الرجـال .فخرجت بكامل وقارها وهيبتها في خطبة مشهودة ألقتها في المسجد بحضور حشـد كبير من المسـلمين والتي بيّنـت فيها ظلامتها وقد فضحـت مؤامرات القوم ضد أهل البيت (عليهم السلام)، ودعت الأصحـاب إلى نصرتهـا، وعبّرت عن رفضهـا لقراراتهم بمنع الخمس عنهـم، ومصادرة أوقاف الـنبي (صلّى الله عليه واله وسـلّم) وهي سبعة بسـاتين، ومصادرة مزرعة فدك التي منحها النبي(صلى الله عليه واله) لها، واستدلت بمجموعة من الآيات القرآنية التي تبيّن أحقيتها بإرث أبيها.

فقد "روى عبد الله بن الحسن بإسناده، عن آبائه عليهم السلام أنّه لما أجمع أبو بكر وعمر على منع فاطمة عليها السلام فدكاً وبلغهـا ذلـك، لاثت خمارها على رأسـها واشـتملت بجلبابها، وأقبلـت في لمّة مـن حفدتها ونسـاء قومها، تطـأ ذيولها، ما تخـرم مشـيتها مِشـية رسـول الله (صلى الله عليـه والـه)،

٥. وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ٢٠ - ص ٦٧
٦. بحار الأنوار ، العلامة المجلسي ، ج ٤٣ ، ص٩٢
٧. مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج ١٤، ص٢٨٩